مدام رويه

يعلم قرّاء المقتطف اسم هذه العالمة الفاضلة والمؤلفة المشهورة ولا سيما الذين قرأوا ترجمتها في الجزء الثامن من المجلد الثالث والعشرين من المقتطف . وقد نعتها المجلات العلمية في اوائل الشهر الماضي (٦ فبراير) بالغة ثلاثاً وسبعين سنة قضت اكثرها في خدمة العلم والفلسفة. ترجمت كتاب دارون المعروف باصل الانواع الى اللغة الفرنسوية سنة ١٨٦٢ وقدّمت لهُ مقدمة من ادق ما كُتب باللغة الفرنسوية في هذا العصر من حيث ابداء الآراء الفلسفية وبسطها. وكانت قد عُرفت بالبلاغة وحسن البيان من اشعار نظمتها ونشرتها في المجلّات الفرنسوية ومن

رسالة ألفتها موضوعها "ماذا يجب ان تكون الكنيسة في البلاد الجمهورية" ومن تعاليمها المنطق للنساء في لوسان بسويسرا بعد ان اتمّت دروسها في السربون وكولاج ده فرانس بباريس. لكن شهرتها بلغت اوج مجدها لما ترجمت كتاب دارون وقدّمت لهُ المقدمة المشار اليها ومن ثمّ تبوأت اعلى مقام بين رجال العلم والفلسفة ثم توسعت في هذه المقدمة فكان منها كتابها المشهور في اصل الانسان والجماعات

ومن كتبها المشهورة كتاب الصلاح والناموس الادبي Le Bien et la Loi Morale المطبوع سنة ١٨٨١ وكتاب نظام العالم La Constitution du Monde المطبوع سنة ١٩٠٠ ردّت في هذا الكتاب كل ما يُعرَف من نواميس المادة الى حركة الجوهر الفرد على اسلوب فلسفي بديع. وقد زارها ولدنا نجيب صروف سنة ١٨٩٩ ورآها مشتغلة بطبع هذا الكتاب فشرحت لهُ اسلوبهُ شرحًا بيّنًا وقالت انهُ ثمرة حياتها وغاية ما وصلت اليهِ معارفها وفلسفتها. وكانت الشيخوخة قد اضعفت جسمها وازالت نضارتها ولكنها لم تفقد عزيمتها ولا كدّرت صفاء عقلها ولا ازالت البشاشة من وجهها

وسنة ١٨٩٥ قام برتلو واولار وريبو وريشه ولتورنو ولفسه وهم من اشهر رجال فرنسا وطلبوا لها نشان جلون دونور قائلين انها عالمة وفيلسوفة نادرة المثال من اللواتي اشتهرن بهنّ القرن التاسع عشر فاجيب طلبهم سنة ١٩٠٠ وقدّم لها النشان وزير المعارف المسيو ليجس في وليمة حافلة

وكانت من الشهيرات في الدفاع عن حقوق النساء. وقد ربيت في المذهب الكاثوليكي وقصدت ان تصير راهبةً في صباها لكن اباها صرفها عن ذلك فعادت في خدمة العلم والفلسفة

ظواهر الجو ومذهب ارهنيوس

كل ما في العالم في الارض والسماء غريب عجيب لا يدرك كنههُ ولكن ما تراهُ العين يومًا بعد يوم تألفهُ ولا تعود النفس تشعر بغرابتهِ وامّا ما يقلُّ ظهورهُ كالنجوم ذوات الاذناب والمشاعيل التي ترى بارزة من حزف الشمس وقتما يكسفها القمر كسوفًا تامًّا واكليل النور الذي يحيط بها حينئذٍ والنور البرجي الذي يرى بعد مغيب الشمس مستطيرًا في منطقة البروج والشفق القطبي الذي يصل الى اقليمنا في بعض السنين ويتكرّر ظهورهُ في نواحي القطبين — كل ذلك وما جرى مجراهُ لم تزُل غرابتهُ من النفوس ولا يزال العامّة والخاصّة يندهشون من رؤيته اما العامّة فلمّا ذكر من غرابتهِ واما الخاصّة فلأنهم حاولوا تعليلهُ على طرق شتّى فلم يصلوا الى

تعليل يشفي الغليل وتسلّم بحصته كل العقول الى ان قام عالم اسوجي منذ سنة من الزمان وعلّل هذه الظواهر تعليلاً يراهُ العلماء الآن اقرب كل التعاليل الى الحقيقة

وخلاصة ذلك ان للمادة دقائق اصغر جدًّا مما كان يُعرَف بالجوهر الفرد الجوهر من الهيدروجين يساوي الف دقيقة منها وهي تحمل الكهربائية السلبيَّة وتنبعث بسرعة فائقة من القطب السلبي في انابيب كروكس ومن الاجسام التي تقع عليها اشعة رنتجن ومن الاجسام الحارة كالمعادن الحامية ومن المعادن الباردة اذا وقع عليها النور الذي فوق اللون البنفسجي في اشعَّة الطيف . واذا مرَّت هذه الدقائق في غاز من الغازات احدثت فيهِ دقائق من نوعها كانها تحللها من جواهره والمواد تتجمَّع وتتكاثف حول هذه الدقائق فيكبر حجمها بها

تعليل ذوات الاذناب

هذه هي الامور التي بنى عليها ارهنيوس العالم الاسوجي تعليلهُ للظواهر الجوية فقال في تعليل ذوات الاذناب ان نور الشمس يشعُّ منها بقوة معلومة وهذه القوة يمكن معرفتها بالحساب وهي ضعيفة لا تؤثر في دفع الاجسام الكبيرة عن سطح الشمس ولكن اذا صغرت الاجسام جدًّا حتى صارت مثل الدقائق المشار اليها صارت قوة دفع النور لها اعظم من قوة جذب الشمس فاذا كان قطر نقطة الماء جزءًا من الف جزء من المليمتر وكانت النقطة مكعبة الشكل فيكون ثقلها على سطح الشمس اقل من دفع نور الشمس لها فيدفعها عنها

ومعلوم ان ذوات الاذناب تدور حول الشمس واذنابها مؤلفة من غازات هيدوكربونية وهي تبتعد تارةً عن الشمس وتدنو تارةً منها فاذا كانت دقائقها صغيرة جدًّا حتى يزيد دفع النور لها على جذب الشمس اياها بقيت وراء ذوات الاذناب كأنها مندفعة عن الشمس واذا كانت دقائقها كبيرة حتى يزيد جذب الشمس لها على دفع النور مالت الى جهة الشمس . وقد حسب بعضهم انهُ اذا كان قطر الدقيقة من هذه الدقائق نحو جزء من الف جزء من المليمتر فقوة الدفع مضاعفة قوة الجذب واذا كان قطر الدقيقة ستة اجزاء من الف جزء من المليمتر فقوة الجذب ثلاثة اضعاف قوة الدفع

وحينما يقترب ذو الذنب من الشمس تفعل حرارتها الشديدة بهِ فيغلي الهيدروجين الذي فيهِ وتتكاثف الابخرة فيتكوَّن منها نقط صغيرة جدًّا او تندفع منهُ دقائق صغيرة من الكربون كما تندفع من لهب القنديل فاذا كانت هذه الدقائق كبيرة عادت الى المذنب ووقعت عليهِ واذا كانت صغيرة اتجهت نحو الشمس واذا كانت اصغر من ذلك دفعها نور الشمس فمالت الى الجهة الاخرى من المذنب وامتدت في الفضاء . واذا كانت مادة المذنب مختلفة تكوَّن لهُ اذناب

عديدة بعضها ينجذب الى الشمس وبعضها يندفع عنها حسب كبر دقائقها وصغرها

ثم ان السرعة التي تطول بها هذه الاذناب عظيمة جدًّا فقد حسب الفيلسوف اسحق نيوتن ان المذنَّب الذي ظهر سنة ١٦٨٠ طال ذنبهُ في يومين ستين مليون ميل فاذا كان قطر الدقائق التي يتألف منها هذا الذنب نصف جزء من مليون جزء من الميتر دفعها نور الشمس ٤٣٠ كيلومترًا في الثانية من الزمان او ٨٦٥٠٠٠ ميل في اقل من ساعة . والمرجح ان في اذناب ذوات الاذناب دقائق كثيرة اصغر من ذلك فاذا كان قطر كل دقيقة منها عشر جزء من مليون جزء من الميتر قطعت هذه المسافة في نحو اربع دقائق وقطعت في يومين نحو ستماية مليون ميل . وعلى هذا النمط يعلَّل كل ما يظهر في ذوات الاذناب من ابتعاد اذنابها عن الشمس واقترابها منها والسرعة الفائقة في امتدادها

الاكليل والمشاعيل

حينما تكسف الشمس كسوفًا كليًّا يُرَى حول حرفها السنةُ حمراء من النار تنبعث ثم تنعطف عليها او تبقى في الفضاء كغيوم طافية في الجو على ابعاد شاسعة اربعين الف ميل او اكثر ويظهر حول حرفها اكليل من النور الساطع يحيط به احاطة الهالة بالقمر وتنبعث منهُ اشعة نورانية يبلغ طولها احيانًا اضعاف قطر الشمس . وتعليل ذلك على مذهب ارهنيوس انهُ تنبعث من الشمس ابخرة مختلفة لتكاثف اذا علت عن وجه الشمس وتصير دقائق صغيرة فاذا كان قطرها اكبر مما يلزم لتغلُّب قوة الدفع على قوة الجذب عادت الى سطح الشمس منعطفة عليها واذا كان قطرها اصغر مما يلزم لتغلُّب قوة الجذب على قوة الدفع اندفعت عن الشمس بقوة النور والاولى هي المشاعيل التي تُرَى حول الشمس وقت كسوفها والثانية هي اشعة الاكليل الذي يحيط بها . وليس من الضروري ان تكون قوة الدفع الاولى التي تدفع هذه المواد عن سطح الشمس عمودية عليهِ ولذلك تصعد هذه المشاعيل احيانًا منحرفة وتعود الى سطح الشمس في شكل اهليلجي واما كان قطر دقائقهِ منها بحيث تتساوى فيهِ قوة الجذب وقوة الدفع يبقى منتشرًا كالغيوم حول الشمس

النور البرجي وذنب السرحان

النور البرجي هو النور الذي يرى في دائرة البروج فوق الافق الغربي بُعَيْد مغيب الشمس . وذنب السرحان او الفجر الكاذب هو النور الذي يرى في دائرة البروج ايضًا فوق الافق الشرقي قُبَيْل شروق الشمس وكانهما كليهما مخروطان من النور خارجان من الشمس وواصلان الى ابعد من الارض

تقدم ان المعادن الحامية يخرج منها دقائق صغيرة منيرة مكهربة بالكهربائية السلبية وعليهِ

لا يبعد ان ينبعث من الشمس دقائق صغيرة منيرة مثل هذه وتندفع عنها بقوة دفع النور لها وتكون كهربائيتها سلبية كما تقدم حتى اذا بلغت جوَّ الارض مثلاً اعطتهُ من كهربائيتها السلبية فدفعها كما هو معلوم من ان جسمين متكهربين بنوع واحد من الكهربائية يتدافعان فتصير الدقائق الواردة من الشمس تصل الى جو الارض وتندفع فينحرف سيرها وتمرُّ على جانبي الارض في شكل هذلولي حتى اذا لاقت اجساماً اخرى في الفضاء وجذبتها اليها كبرت اقطارها وصارت قوة جذب الشمس لها اقوى من قوة الدفع فتعود نحو الشمس . ولو امكننا ان نقف في القمر لرأينا الارض مشمولة بذيلين منيرين احدهما آتٍ من جهة الشمس والآخر متجه نحوها وهما النور البرجي. والارض نفسها تنبعث منها دقائق صغيرة مثل هذه من وقوع نور الشمس الذي فوق البنفسجي عليها فتضاف الى الذيل المتصل بها كأنَّ حزمةً من النور خارجة منها ومتجهة نحو الشمس

اما القمر فلا ذيل لهُ لان ليس لهُ هواء فالدقائق التي تصل اليهِ من الشمس تنتشر على سطحهِ وتحيط بهِ كالغلالة ولا تندفع عنهُ

الشفق القطبي

اذا ادني قطب مغنطيسي من انبوب كروكس الذي فيهِ الدقائق السالبيَّة المنيرة او الاشعَّة السالبيَّة اتجهت هذه الاشعة نحو المغنطيس وانحنت عليهِ حتى تصير كالحلقة . وقد تقدم ان الدقائق المكهربة بالكهربائية السالبة تندفع من الشمس الى الارض فاذا دنت منها ودخلت طبقات الهواء العليا التي لطافتها اكثر من لطافة الغازات في انابيب كروكس تكهربت هذه بها وانارت وجذبها قطبا الارض المغنطيسيان فتكوَّن فيها حلقات وتجارٍ كما تكوَّن الحلقات والمجاري في انابيب كروكس اذا ادنيت من مغنطيس . ولذلك يكثر حدوث الشفق القطبي اذا كثر الهيجان في الشمس وكثرت الكلف على وجهها . ويكثر حدوثها ايضاً وقتما تكون الارض مقابلة للمنطقة التي يكثر فيها هيجان الشمس اي من مارس الى سبتمبر . وفي الساعات التي يشتد فيها حر الشمس الواصل الى الارض اي من الساعة الثالثة بعد الظهر فصاعداً وترى في الجهات الشمالية والجنوبية اي بقرب الاقطاب المغنطيسيَّة

كهربائية الجو

اذا كانت الدقائق المندفعة من الشمس الى الارض مكهربة بالكهربائية السالبيَّة وجب ان تكهرب الهواء فتكاثف دقائقهُ المكهربة بالكهربائية السالبيَّة وتنزل نحو سطح الارض بثقلها ويبقى الهواء العالي مكهربًا بالكهربائية الايجابية وهذا ينطبق على الواقع كما يظهر من امتحان كهربائية الهواء

النيازك

اذا كانت الدقائق تندفع من شمسنا ومن غيرها من الشموس على ما تقدَّم فالواصل منها الى الارض شيء قليل جدًّا وما بقي يسير في الفضاء الى ان يلاقي بعضهُ بعضًا فيتجاذب ويتماسك الى ان تكثر الكهربائية على سطح مجموعهِ ولا تعود تسمح بانضمام غيرهِ اليهِ فتنتشر في الفضاء اجسام صغيرة تجذب الارض بعضها حينما تدنو منها فتسرع اليها وتشتعل من السرعة والاحتكاك بالهواء وهي النيازك وقد يصل بعضها الى الارض سليمًا وهي الرجم ويقع بعضها على شموس اخرى وكرات اخرى غير الكرة الارضية كما يقع على الارض والشمس دقائق من تلك الشموس وتلك الكرات فيستمر التبادل بين اجرام الكون

السديم

السديم لطخة بين النجوم كالضباب المنير يظهر من البحث في نورهِ انهُ غازي في الغالب. وقد اشكل امرهُ على العلماء لانهُ ان كانت حرارتهُ شديدة حتى يرسل نورهُ الينا فكيف يحفظ قوامهُ على لطافتهِ ولا يتمزق اربًا لان الجذب بين دقائق الغاز ضعيف جدًّا حتى اذا حمي قليلاً انتشر ولم يستطع ان يحفظ قوامهُ ولكن يمكن ان يعلل اشراق السديم على مذهب ارهنيوس بان نورهُ حادث من وقوع هذه الدقائق عليهِ من الخارج فانها تأتيهِ مكهربة بالكهربائية السالبة فتفرّغ كهربائيتها وينير بها غاز السديم كما ينير الغاز في انابيب كروكس بالمجرى الكهربائي. ويرد السديم غير ضائر لان نور الغاز يشتد باشتداد برودتهِ

هذه خلاصة مذهب ارهنيوس وما يُعلَّل بهِ من ظواهر الجو وحوادث الطبيعة وهو من ابدع المذاهب الحديثة واقربها الى التصديق

دلائل حسن التهذيب

وقفت في مجلة انكليزية تدعى " اديوكاشنل رفيو " على مقالة للاستاذ نيكولاس مرّي بتلر مدرس الفلسفة في كلية كولمبيا فاحببت ترجمتها ونشرها على صفحات المقتطف لما فيها من الفائدة لنا نحن ابناء المشرق وقد تصرفت في الترجمة تصرفًا ظاهرًا فحذفت واضفت على ما لاح لي من مقتضيات المقام — قال الكاتب

قام كومينيس الانكليزي منذ مئتين وخمسين سنة وطلب ان تنشأ مدرسة كلية في لندن يجتمع فيها رجال العلم من كل صوب ويؤلفون كتابًا يضمنونهُ مجموع حكمة البشر وعلومهم على

اسلوب يلائم حاجات الناس في الحاضر والمستقبل . وكان مشروعهُ هذا جذّابًا لاهل القرن السابع عشر ولا غرو فقد كان معتقدهم اذ ذاك ان العلوم ليست الاّ كية من الحقائق او المحفوظات ينبغي على المتعلم استيعابها .

ولا يزال هذا المعتقد شائعًا بين اهل هذا القرن الساعين وراء المفيد القاصديهِ من اقرب ابوابهِ . فكم من مرة يستدلُّ على تهذيب فلان بعدد ما يعرفهُ من اللغات او بتعدد العلوم التي تلقاها في المدرسة وبمقدار ما وعاهُ من الحقائق في ذاكرتهِ ثم يظهر بالاختبار ان مثل هذا الاستدلال باطل وان للتهذيب الحقيقي مظاهر اخرى ابعد مرمى وافضل عائدة

فما هو التهذيب إذَن هل هو ان يعرف الانسان احوال الطبيعة معرفة تامة منظمة فان كان كذلك فكل عالم من المتقدمين والمتأخرين يكون في مصاف غير المهذبين . او التهذيب ان يكون للانسان ميل خاص للنظر في بدائع الفنون والآداب ويقضي ايامهُ بالتلذذ التصوري كأنهُ في عالم الخيال لا الاعمال . فان كان كذلك فكثيرون من اهل العلم والعمل ممن قادوا افكار معاصريهم وشخّصوا المبدأ الكمالي في زمانهم واظهروا اسمى الصفات العقلية والادبية يعدون من جملة غير المهذبين

ومعلوم ان حشد المعارف يحدق بنا الآن من كل جهة ويذهلنا بوجوه اختلافاتهِ ومراميهِ وعلى كلٍّ ان يتنحى عن الكثير ويختار القليل . فما احرج الموقف وما اصعب الاختيار وما اكثر الذين لا يحسنون التروي فيعون من المعارف ما لا يجدُون منهُ مغنمًا ولا يدفعون بهِ مغرمًا فكأنهم يكتفون بقول الناس عنهم فلان عالم حافظ لا يفوتهُ شاذ ولا ضرب من تخريجات الكلام مع ان واحدهم لا يملك من حطام الدنيا شيئًا يذكر ولا يمكنهُ استخدام محفوظاتهِ التي ينافس بها مع رجال الزمان الطالبين الرزق من ابوابهِ الناحتين الخير من معادنهِ

وعليهِ فبدا التعلُّم لقصد حشد المعارف واعتبار كميتها بصرف النظر عن امكان استخدامها والانتفاع بها يسقط من نفسهِ ويكون من غايتنا التنقيب عن مبدإٍ آخر في وجهة أُخرى

والمتأمل في حقائق الحياة المحلل ماجرياتها يرى ان المعارف والفواعل اجمالاً لا ترد على وتيرة واحدة ولا تؤثر في العقل تأثيرًا واحدًا وهي سنَّة الله في خلقهِ بها تحفظ الموازنة بين افراد الهيئة الاجتماعية ويحصل التعاضد والتعاون وتقسيم الاعمال لاختلاف المباديء والمشارب والافكار والمساعي والنيات

انظر الى آلة نفيسة ترَ ان اجزاءها لا يصح التبادل بينها لان ثمَّ حاجات ورغائب لا تسدُّ ولا تنال بانابة هذا الجزء عن ذاك . ومثل ذلك اوجه التمدن العملية والادبية والفنية والنظامية

والدينية فمع انها تشتبك بعضها ببعض اشتباكاً وتظهر كأنها غير مستقلة بعضها عن بعض فهي بالحقيقة مستقلة بمعنى انهُ لا يمكن لاحدها ان ينوب مناب الآخر او ان يقوم مقامهُ فينبغي ان يكون لكلٍّ من هذه الاوجه الخمسة علاقة ما في كل تعليم غايتهُ التهذيب . وهذا التعليم متى انتهى الى التثقيف لا نقاس كميتهُ بالفاظٍ وتعبيرات علمية او ادبية او فنية او نظامية او دينية بل بما ينتجهُ من الصفات في عقل المدرَّب وسلوكهِ . والى هذه الصفات ينظر المستدل على حسن التهذيب لا الى ظواهر المعرفة ومقدار موعيات الذاكرة او محفوظات الذهن . وتوصُّلاً الى ذلك اذكر خمسة ادلة لحسن التهذيب

﴿ اولها اتقان استعمال اللغة الوطنية ﴾ . وهذا امر حديث في عالم التهذيب لان اللغات الاوربية الحديثة لم تُعتبر من وسائل التهذيب الاَّ بعدما انتقض حصر وسائط التعليم باللغة اللاتينية عند نهاية الاعصر المتوسطة . ففي سنة ١٥٤٩ عهد جاك دي بلاي درس اللغة الافرنسية بتصريحهِ " انها ليست مفتقرة كما يظن الكثيرون " ووضع ملكستر بعدهُ بقليل كتاباً في التعليم اضطرَّ ان يبين فيهِ سبب وضعهِ في الانكليزية عوضاً عن اللاتينية — كأن التأليف ينبغي ان يظل محصوراً في اللاتينية

وهكذا كانت الحال في اللغة الالمانية وبقي اثرٌ منها ايضاً حتى قام الامبراطور الحالي وصرَّح لمجمع برلين المدرسي سنة ١٨٩٠ ان التدريس مفتقر الى اساس وطني وان اساس كل الدروس يجب ان يكون الالمانية كما انهُ يجب على المعلمين ان يمرنوا الصغار ويربوهم لينشأوا الماليين لا رومانًا ولا رومانًا وان الالمانية يلزم ان تكون المركز الذي يدور حولهُ كل فرع من فروع التعليم وان برنوجرام مدارس الحكومة ينبغي ان ينقَّح تنقيحاً يجعل لدرس الالمانية وآدابها المحل الاول

هذا كلام امبراطور المانيا العظيم والالمانية على ما هي عليهِ من التقدم والاعتبار بين لغات اوربا فمن لنا نحن الناطقين بالضاد من حكامنا من ينهض ويصرح للمعلمين وارباب المدارس الاجنبية والوطنية برغبتهِ في تعزيز جانب العربية وانتشالها من حال ضعفها وجعلها لغة حية تنمو كاللغات الاوربية فيرغب في تحصيلها ابناؤها وغيرهم وتنتشر فيها التآليف العديدة المفيدة

وما دامت اللغة محصورة في كتب الادب شعرًا ونثرًا لا من يضع فيها المؤلفات العلمية والفنية والاجتماعية ويسير بها على مطالب العصر سوى ما تأتي بهِ بعض الجرائد والمجلات فايقن انها قريبة من شفا جرف هارٍ وزمان سقوطها ليس ببعيد

واذا كان اول دليل عند العالم الاوربي على حسن التهذيب جودة استعمال اللغة الوطنية فاين درجة شباننا وطلبة مدارسنا من التهذيب الحقيقي وكلهم قاصرٌ عن التعبير عن افكارهِ بلغتهِ

تعبيراً تاماً مفهوماً فانهُ اذا اراد احدهم ان يذكر حادثة تاريخية او يشرح مسألة علمية او يصف منظراً رائعاً تعذَّر عليهِ استعمال اللغة التي ينطق بها لانها غير فصيحة ولم يجد في محفوظاتهِ من الالفاظ والتراكيب ما يفي بالغرض المطلوب

واذا شاء احدهم ترجمة مقالة ما فانهُ يلاقي الامرَّين في التفتيش عن الفاظ واوضاع علمية لغوية تطابق المقصود اذ ليس لهُ ان يشتق صيغة جديدة لما يعرض امامهُ من الالفاظ العلمية الجديدة في اللغات الاوربية الحية او ان يسوق كلمة لغير معناها الحرفي المنقول عن سادتهِ العرب فكأن القواعد وجدت قبل الالفاظ وكأن الانكليزية مثلاً او الافرنسية انسب من العربية واقدر على اشتقاق الكلمات او كأن اللغة غير خاضعة لناموس النمو شان الصلد الاصم او كأن في لغة العصور الخوالي ما يسد كل عوز في لغة العصر الحالي ويقوم بكل مطلب

فاليكم ايها اللغويون ارفع صوتي الضعيف واقول لا تضيقوا على الكتَّاب والطلبة الاحداث بكثرة انتقاداتكم ولا تسدوا باب التعريب بل تسامحوا في اوضاع الكلمات واقبلوا من المعرَّب ما كان سهلاً منسجماً واعلموا ان مفردات اللغة واصطلاحاتها متى تداولتها اقلام الكتاب وتنازعتها عوامل الاستعمال عاش منها جانب وهلك جانب طبقاً لناموس بقاء الانسب المسلط على عالمي النبات والحيوان

﴿ اما الدليل الثاني على التهذيب الصحيح فهو حسن السلوك ﴾ ألا ترى انهُ يستحيل على الشخص ان يكون حسن السلوك في كل زمان ومكان ما لم يكن مقتنعاً في نفسهِ بفضل هذا الخلق وجمالهِ. فحسن السلوك إذن مظهرٌ لما انطوت عليهِ النفس واستحسنهُ العقل فان كان مصنَّعاً فحكمهُ حكم غشاء خارجي يزفهُ اقل مس لانانية صاحبهِ. ولا يكون الانسان حسن السلوك ما لم يكن في نفسهِ ترفُّع واحترام يقودانهِ الى احترام غيرهِ وخير تحك لانانية الشخص سلوكهُ مع من دونهُ لان سلوكهُ مع المساوين لهُ او مع مَن هم فوقهُ مكيَّف بأغراض شتى يصعب معها معرفة الحقيقي من الملبَّس

وليكن معلوماً انهُ بقدر ما نظهر لاخواننا من الاحترام والمراعاة والتلطف يحكَّم علينا فيما اذا كان سلوكنا هذا عرَضاً مفارقاً او خلقاً ناشئاً عن حسن تربية مغروساً في افكارنا مثمراً في افعالنا. قال الفيلسوف كنْت منذ قرن ونيف ان الانسان يحيا بنفسهِ لنفسهِ لا ليكون آلة تحركها ارادة هذا او اميال ذاك وعليهِ فاعمالهُ سواء كانت مختصة بهِ وحدهُ او متعلقة بغيرهِ من الاحياء العاقلة ينبغي ان تعتبر صادرة من حي مطالَب لهُ من الحقوق الاجتماعية ما لغيرهِ. وبديهي ان حسن السلوك مبني على ادراك هذه الحقيقة وكل تهذيب يقصر عن غرس المبدإ الادبي في

الانسان ولا يحملهُ على السلوك الحسن الناشيء عنهُ فهو حقير في ذاتهِ ناقص في مرماهُ

﴿ اما الدليل الثالث على حسن التهذيب فهو قوة التروي والتعوُّد عليهِ ﴾ . قال الكاتب كثيرًا ما عُيرنا نحن المحدثين وبالاخص الاميركيين باننا مغفلو ملكة التروي وخصائصها السامية وذلك ناشيء عن اشغالنا الشاغلة ومناحينا المتعددة واعدامنا الابعاد والوقت بالبخار والكهربائية. نرى العالم باسره قريبًا منا وماجرياتهُ ترد الينا بواسطة الجرائد اليومية فيطير فكرنا من منيلا الى بكين ومن بكين الى الترنسفال ومن الترنسفال الى هنالك. تمزقنا العواطف المتضاربة وتشغل افكارنا تصوُّرات شتَّى تتبع بعضها بعضًا بسرعة غريبة تقصر دونها عن التروي في اية حقيقة كانت من الحقائق العظمى . هذا ما يوجههُ الينا المنتقدون وحقيق ما هو

قال سقراط ان الحياة بدون النظر الداخلي وفحص النفس لا تعتبر حياة — الحياة التي لا ترى على ما جرى لها في الماضي ولا تعيِّن غاية لها في المستقبل — الحياة التي لا غرض لها ولا تدرك ما يمر بها باطنًا او ظاهرًا — هذه الحياة هي حياة حيوان لا حياة انسان . وهنا تظهر المقابلة بين العقل المهذب والعقل غير المهذب — لصاحب العقل المهذب فطنة وتروٍ واعتبارات خاصة تحملهُ ابدًا على العمل في الحالات الجديدة التي ينشرها لديهِ سجلُّ الزمان مقتنعًا بصحة ما يعمل لا يقلع عنهُ الاَّ اذا ظهرت لديهِ ادلة اوضح واكمل تحملهُ على ذلك — لصاحب العقل المهذب اقيسة من الحقائق والحكمة والاختبار البشري يقيس بها كل امر جديد يطرأ عليهِ وهذه الاقيسة لا تكتسب الاَّ بحسن التأمُّل والتروي . اما العقل غير المهذب فليس الاَّ فريسة لتخيلات الطيَّارة وضحية للتعاليم الملبَّسة .

وما اصدق ما قالهُ رنان ان اول شرط لارتقاء العقل هو ان يكون لهُ حرية . وعنى بحرية العقل عتقهُ من سلطة مالا يُعقل واطلاقهُ لاختيار المعقول المطبَّق على المبادىء القويمة اذ لا بدَّ لكل رجل مهذب من جملة مبادىء يعتصم بها ويدرج تقدمهُ عليها . ولا مشاحة ان درس الفلسفة هو الذي يرقي قوة التروي في الانسان الى ان تصير عادة بحكم الاعادة ومثل ذلك درس آداب اللغة والنظامات السياسية والعلوم الطبيعية من وجه فلسفي

واعلم انك متى اخذت تسأل "كيف" "ولماذا" فانت على طريق العلم والفلسفة وبداءة التروي. والرجل الحقيقي التهذيب يسأل هذين السؤالين على الدوام وتكون النتيجة انهُ يمارس التروي والتبصر في اقوالهِ وافعالهِ

﴿ اما الدليل الرابع على حسن التهذيب فهو قوة النمو ﴾ . من العقول ما يرقى الى درجة معينة ثم يتبلور تبلورًا او يجمد ويأبى النمو فيما بعد فيعيش صاحبهُ وكأن عقلهُ في عالم الغيبوبة لا يعمل

من الاعمال الاَّ ما يبقيهِ حيث هو لا حركة ولا تقدُّم ولا قوة جديدة . ولا دافع على الدرس المتواصل والتعليم الذاتي اللذين هما ركنا التهذيب ومجلبا نموهِ

ولا مراء ان العقل النامي المرتقي مدى الحياة هو غاية في الجمال ومدعاة لاعجاب الناس . وهذا ما رفع المستر غلادستون الشهير الى مناصبهِ العديدة واحلَّهُ اخيرًا المكانة الاولى عند امتهِ وجعلهُ جذَّابًا للشبان محبي الرفعة والجاه وهو مثال ما ينعلهُ كل عقل مدرَّب يصاحبهُ سعة النظر ورحابة الصدر وعمق التروي وبعد المرمى اثمار التهذيب ومظاهر نموهِ

ثم انهُ من الضروري لهذا النمو ان يكون للانسان غرض عام لان التضييق العقلي والادبي يضاد النمو نموهِ والنمو في حرب مستمرة . ولا ينكر ان جانبًا من التهذيب الحالي هو غير التهذيب الصحيح لانهُ يجعل النمو صعبًا ان لم نقل مستحيلاً . وهذا ما يعترض بهِ على بعض مديريهِ المدارس الاجنبية في بيروت وغيرها وهو انهم يسوقون تعاليمهم وذرائع تهذيبهم للطلبة في وجهة لا تتسع للعقل مجالاً للتروي ولا تعوِّدهُ ارجاع المعلولات الى علاتها والاستفهام عن الغامض "بكيف" "ولماذا" بل هم يلقون مواد تعليمهم في عقول الطلبة لنمو التعصب المذهبي عوضًا عن تربيتهم على التساهل واعتبار الناس كلهم اخوانًا في البشرية يتعاونون معًا في الحياة الدنيا على ترقية الهيئة الانسانية بخدمة بعضهم بعضًا . وعسى ان لا تطول هذه الحال بل يقوم من ابناء الشرق من يضرب على يد كل اجنبي يسعى في ازدياد انشقاقنا وتفرُّق كلمتنا بتشريبنا حب التعصُّب والانقسام ويعضد كل من يعمل على تعميم التهذيب الحقيقي وانتشار التعليم القويم

ومن اعداء النمو ايضًا التبرُّع الباكر في الحياة لعلم ما فانهُ يحدد مجال المعرفة والمصلحة ويقودُ الانسان الى التقصير عن ادراك نسبة مصلحتهِ الخاصة الى مصالح غيرهِ . قال الاسقف ڤيولدن في خطاب لهُ ان الحياة تجلس قوة يرتقي فيهِ الانسان الى درجة الادراك الذاتي ومنها الى درجة معرفة عالم الحق والنظام والمحبة حيث يبطل العمل الناشيء عن الغريزة المحضة ويتسلَّط العقل والضمير على افعال الانسان وتصرفاتهِ . ثم متى ترقَّى هذا التسلط تعمدًا واختيارًا فذلك هو التهذيب او التربية

❁ والدليل الخامس على حسن التهذيب هو المقدرة على العمل ❁ ولقد فات الزمان حينما كانت الغاية الكمالية من التهذيب الانسحاب من العالم ومتعابهِ للاعتزال والتعمق في التأمُّلات والتخيلات الفارغة واليوم لا يعتبر الرجل حقيقي التهذيب ما لم ينتظم في سلك العمل ويبرهن عن درجة معارفهِ بتشغيل ذهنهِ ولسانهِ ويدهِ ويسعى في تحسين الهيئة التي تضمهُ ثم يترك العالم ارقى مما لقيهُ . فالعمل ثمرة العلم ودليل على حيوية التهذيب . اعملْ يا من تدعي العلم وبسطة

المعرفة وسعة الاطلاع وكثرة المحفوظات اعمل ايّ عملٍ شئت على شرط ان تتقنهُ وتنفع بهِ . عبّر عما تعرفهُ بطريقة مفيدة ولا تحتقر العمل تحقّراً ولا تكتفِ بالمعارف الوجدانية ولا تتوانَ عن اظهار شيءٍ منها للغير فتكون اشبه برجل على جانب نهر يحاول العبور الى الجانب الآخر وقوة الماء تصدهُ ويرى لديهِ من الاخشاب والادوات ما يستطيع بها صنع رمث يركبهُ ولكنهُ لا يمد لذلك يداً ويقضي الايام حيث هو . والذي يعلم ان اميركا اكتشفت سنة ١٤٩٢ ويجهل الاحوال التي صاحبت ذلك الاكتشاف ولا يعرف علاقة هذا التاريخ بغيره ولا يدرك السبب في اهميتهِ واستعمالاتهِ فاكتشاف اميركا سنة ١٤٩٢ او سنة ١٢٩٤ عندهُ سيان

هذه الخصائص الخمس (اتقان اللغة الوطنية وحسن السلوك وعادة التروي وقوة النمو والمقدرة على العمل) هي ادلتي على حسن التهذيب وبها يعرف المهذبون وفي ساحتها يلتقي الطبيب باللغوي والطبيعي بالنياسوف وكلٌّ يعرف ان صاحبهُ عالم مهذّب مع ان وجوه معارفهم مختلفة ومواقف مراميهم متضاربة ولكنهم متحدون بالاخاء مرتبطون بربط الصفات التي نشأت في عقولهم مما تدربوا عليهِ من العلم والعمل

وليكن معلوماً ان بدون هذه الصفات لا يكون الرجل حقيقيّ التهذيب ولو مهما اتسعت دائرة معارفهِ بل يكون اشبه شيءٍ بمتحف الآثار المصرية يبدي بدائع الصنائع وهو ميت بذاتهِ . ولا شيءٌ يرينا ويري الناس ايضاً اننا اكتشفنا السر في تحصيل التهذيب مثل هذه العادات والصفات التي تنشأ فينا ايام الدرس والتعلّم ونتقوى بمرور السنين واتساع الاختبار

بيروت المدرسة الكلية الاميركية — بولس الخولي

مدرس العربية في القسم الاستعدادي

التحف والذخائر

لماذا يدفع هذا الرجل الف جنيه ثمن حجر من الماس يحلّي بهِ اصبعهُ او اصبع زوجتهِ وهو لو شاء لابتاع بهِ الف اردب من الحنطة كفتهُ وكفت زوجتهُ واولادهُ مئة عام . ولماذا يدفع ذاك الفي جنيه ثمن كتاب قديم وهو يُطبع كل يوم وتباع النسخة منهُ ببضعة غروش . ولماذا يدفع ذلك عشرة آلاف جنيه ثمن صورة باعها مصوّرها بمئة جنيه وهو يحسب انهُ جوزي على تصويرها احسن جزاء . ولماذا يدفع الغواة الف جنيه ثمن طابع البريد واصل ثمنهِ غرش او نصف غرش . لماذا هذه المغالاة بالاشياء النادرة مهما كان نوعها صوراً وتماثيل وحجارة كريمة